

## علاقات شمال إفريقيا بالصحراء الكبرى وجنوب جزيرة العرب خلال العصور القديمة: الحيوانات "المتوجة" نموذجا

عفراء محمد الخطيب

**ملخص:** تتناول هذه الدراسة مقارنة بين رسوم ونقوش صخرية، من منطقة المغرب القديم (المغرب والجزائر وتونس وليبيا)، والصحراء الكبرى، والجزيرة العربية، وبشكل خاص جنوبها، الذي كان معبراً للهجرات من وإلى إفريقيا. وبادرنا بهذه المقارنة بعد أن وجدنا تشابهاً بينها في طريقة تصوير بعض الحيوانات، خاصة التي تحمل بين قرونها قرصاً، أو أن القرون تأخذ شكلاً دائرياً بالتقاء القرنين. ذلك الشكل الدائري أو القرص، الذي يرى غالبية الباحثين أنه يمثل قرص الشمس. ما دفع بنا إلى البحث عن مكانة هذه الحيوانات (الثور والكبش والوعل) ومدلول القرص والقرون، عند إنسان هذه المناطق. وقد دفعنا ذلك إلى البحث عن هذه الظاهرة في بلاد الرافدين، حيث توجد بشكل أوضح ضمن "الثالوث الكوكبي المقدس": القمر والشمس والزهرة، الذي رمزُ إليه بالهلال والقرص والنجمة. وكان يصور قرص الشمس، في أغلب الأحيان، داخل هلال القمر، وهو الشكل نفسه الذي يوجد على الرسوم والنقوش الصخرية. وقد قادنا ذلك إلى طرح عدة فرضيات وتساؤلات، منها مثلاً: هل تم التوصل إلى تأليه وعبادة هذه الحيوانات وهذه الآلهة - الكواكب، والإشارة إليها بالرموز نفسها، وبالطريقة ذاتها محلياً؟ أم أنها نتيجة التفاعلات والتأثيرات بين المجموعات البشرية التي كانت تتنقل وتهاجر طيلة العصور القديمة؟

**Abstract.** This paper presents a comparative study between rocky drawings and carvings of ancient Maghreb (present Morocco, Algeria, Tunisia and Libya), the Great Sahara and Arabian Peninsula, especially its southern part which was a passage of immigration from and into Africa. We took the initiative to make such comparison after we have found out that there is a similarity in the drawing of some horned animals in these places. In fact, their horns were drawn either in a spherical shape; i.e. the tips of the two horns almost in touch, or carrying a disk between them. Most of the researchers believe that this disk represents the disk of the Sun. This has urged us to try to look for the significance of these animals (Taurus, Sheep and Antelope), the disk and the horns in these drawings. On the other hand, we tried to look at these same drawings in Mesopotamia where they figure out clearly in the Divine Asral Triad (the Moon, the Sun and Venus) which was represented respectively by the Crescent, the Disk and the Star. Most of the time the disk of the Sun was drawn inside the crescent of the Moon; the same picture is to be found in these rocky drawings and carvings. Thus, in our research, we raised many questions and hypotheses such as: were these animals and these planets worshiped and represented in the same way and by the same signs locally? Or whether it had been the result of the interaction and influence between human groups who used to move and migrate all throughout the ancient times?

### مقدمة

التعرّف عليها إلا بتلقطها من خلال المدافن، وأساليب الدفن، والرسوم والنقوش الصخرية، التي تشكل أعرق الإسهامات الفنية، لإنسان عصور ما قبل التاريخ؛ ولكنها صامتة ولا تحتوي على أي نص مكتوب. ما يحتم بدوره ضرورة الاستعانة بالحضارات المدونة في وادي النيل، وبلاد الرافدين، والهلال

من المؤكد أن الصحراء الكبرى ما تزال تحتفظ بالكثير من أسرار نشأة حضاراتها؛ إذ لم يُكتشف بعد من آثار سكانها القدماء إلا القليل. وهذا يعني أن الإشارات الخاصة بعلاقاتها مع المناطق المجاورة خلال العصور القديمة قليلة، ولا يمكن

٣ و٤). إن رسوم ونقوش هذه الحيوانات ترجع في مجملها إلى عصور ما قبل التاريخ، وبشكل خاص إلى العصر الحجري الحديث (بين الألف السابع والألف الثالث قبل الميلاد)، الذي استمر في أقصى غرب الصحراء الكبرى حتى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد.

### الكبش ذو الهالة

وعلى الرغم من هذا الانتشار، فقد حظي، (دون غيره) في منطقة المغرب القديم، الكبش، الذي يسمى "الكبش ذو الهالة" (Bélier à sphéroïde) (الشكل رقم ٥)، بالكثير من الاهتمامات والدراسات (Camps G., 1991, Ger- main G., 1948, Lhote H., 1984)، وطرح حوله (٢) العديد من الفرضيات والتساؤلات، التي منها مثلاً: هل كان متصللاً بشعائر دينية خاصة، أم أنه كان مخصصاً للأضحية؟ وهل كان يمثل معبوداً محلياً، أو أنه كان ذا أصول مصرية؟ وإلى أي شيء كان يرمز الشكل الكروي، الذي على رأسه؟ فبينما رأى كامبس (Camps G., 1991: 1431)، في وجود الشريط المزخرف على رقبة الكبش، وظهور رسم إنسان أمامه (في بعض اللوحات)، دليلين كافيين لتصنيفه ضمن الحيوانات المخصصة للأضحية، رأت فئة أخرى من الباحثين، أن هذا الحيوان كان ينتمي إلى المعبودات، إذ يظهر إلى جانب الثيران في عدد من مقابر عصور ما قبل التاريخ. فضلاً عن أن ممارسة عبادة الحيوانات (Zoolâterie)، كانت معروفة منذ أقدم العصور، في المنطقة الممتدة من جنوبي المغرب حتى النوبة، مروراً بفضان (Germain G., 1948:94-101). وكان السكان يرسمون وينقشون الحيوانات - المعبودات، من أجل ضمان وجودها الدائم بينهم. أما الرجل، الذي يظهر في بعض الأحيان أمام الكبش (وكذلك أمام الثور)، ممثلاً براحة يد مرفوعة وموجهة إلى الأمام، فيبدو أن حركته هذه كانت لها علاقة بالتعبد، ومرتبطة بالمعبود الموجود معه، سواء الكبش أم الثور (Decret F., Fantar M., 1981:253-254).

### أصل الكبش ذي الهالة

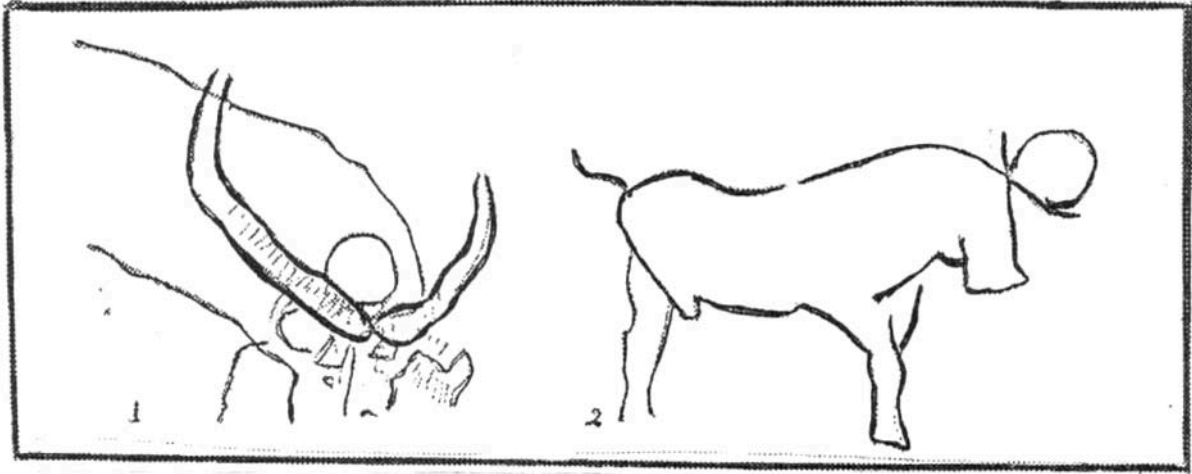
اعتقد بعض الباحثين أن "الكبش ذي الهالة"، هو الإله المصري نفسه، الذي عبّد كإله لآمون، في مدينة طيبة وواحة

الخصيب، لفهم بعض الرموز، خاصة منها التي تتكرر وتتشابه، إلى درجة تدعو إلى المقارنة فيما بينها. أما المقارنة بين مخلفات الصحراء الكبرى والحضارات المجاورة، فهي مقبولة ويمكن الاعتماد عليها، لأنها تستند إلى حقيقة تاريخية مهمة، وهي أن الصحراء الكبرى كانت أثناء المراحل الرطبة مسرحاً لتحركات وتنقلات وهجرات بشرية متتالية، حملت معها مكوناتها الحضارية، وأمنت بذلك التواصل الفاعل، والتأثير والتأثر بين مختلف المناطق.

### انتشار الحيوانات "المتوجة"

إن أحد المجالات، التي تقدم مادة أثرية قابلة للمقارنة هي الرسوم والنقوش الصخرية، التي تستمر زمنياً آلاف السنين، وتعد مصدراً غنياً بالمعلومات عن حياة الإنسان، وتفاعله مع البيئة المحيطة به. فهي تصور تفاصيل مهمة عن مختلف المجموعات الثقافية، وعن حياتهم اليومية، من صيد ورعي، واستعمال العربات، وملابس، وسلاح، ونشاطات اجتماعية وعقائدية، (مثل الدين والسحر والنظرة إلى الحياة والموت...). الأمر الذي يسمح بطرح بعض الافتراضات والاستنتاجات، عن التحوّلات المناخية والتحركات البشرية، التي حدثت في مواقع انتشارها على مر العصور. لذلك، يمكن القول إنها تشكل "كتاباً مصوراً"، يوثق تاريخ تجارب الإنسان في العصور القديمة.

ويلاحظ من خلال دراسة الرسوم والنقوش الصخرية في الصحراء الكبرى، أن هناك تكراراً غريباً للأكبش والثيران، التي تحمل على رأسها شكلاً كروياً (الشكلان: ١ و٢). وقد عرف هذا النوع من الحيوانات، انتشاراً واسعاً، في منطقة المغرب القديم (المغرب والجزائر وتونس وليبيا) (Germain Vernet R., 1991; Camps G., 1948; G. 1991; Muzzolini A. 1983; Tschudi Y. 1956; Huard 1993)، والهكار، وتاسيلي، وفضان وتبيستي والعيونات (P. 1961)، أي من أقصى غرب الصحراء الكبرى إلى أقصى شرقها (الخريطة رقم ١). هذا بالإضافة إلى أراضي الحبشة والصومال (Baillaud G., 1954, Joussaume R., 1977)، والجزيرة العربية (أبو العيون بركات ١٩٨٧؛ مجيد خان ١٩٩٣؛ Anati E. 1974). (الخريطة ٢) و (الشكلان:



الشكل ١: حيوانات متوجة: (1- نقش من الجزائر، 2- نقش من مصر قبل الاسرات [L. Frobenius 1933]).

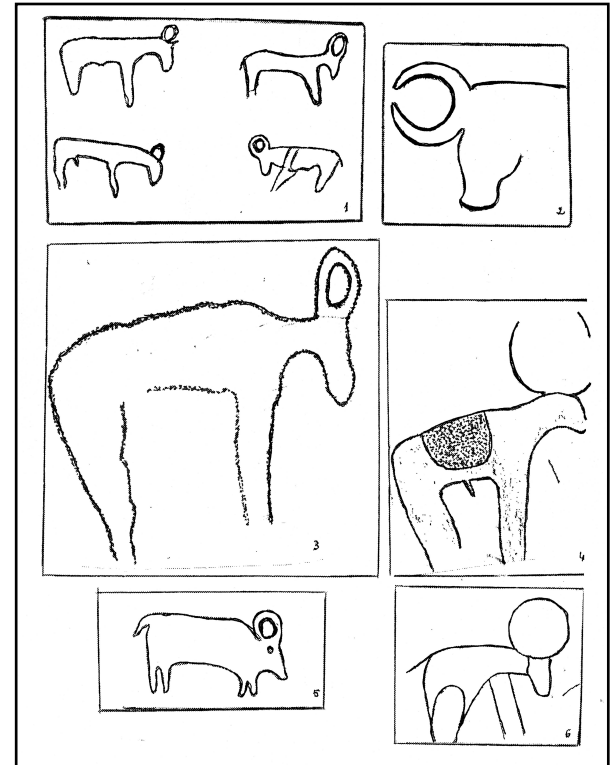
سيوا، على شكل كبش، والذي امتزج فيما بعد مع الإله "رع". وأنه ظل يُعبد في منطقة المغرب القديم في شكله البدائي، على شكل كبش؛ لأن حضارة سكان المنطقة ظلت نسبياً متأخرة. واعتقد أيضاً، أن الكبش نفسه هو الذي اقترض قرونة، في مراحل لاحقة، إلى الإله "بعل حمون"، في المغرب القديم (Germain G. 1948: 107; Decret F., Fan-).

260. (tar M. 1981: 260)؛ ولكن اليوم، بعد أن أثبتت الدراسات الحديثة انتماء نقوش شمال إفريقيا ورسومها إلى أوائل العصر الحجري الحديث، أي أنها أقدم من انتشار عبادة "آمون" في مصر بحوالي ثلاثة آلاف سنة (Camps G. 1991: 1419)، يمكن القول إن "الكبش ذا الهالة" لا علاقة له بالإله المصري "آمون رع". إضافة إلى أن الرسوم والنقوش الصخرية، التي وجدت في ليبيا، تصور "الثيران والأكبش ذات الهالة"، ترجع إلى ما بين الألف السادسة والخامسة (٦٠٠٠-٥٠٠٠)، قبل الميلاد، أي إلى عهد أبعد بكثير من عهد الأسرات (بازما ١٩٧٣).

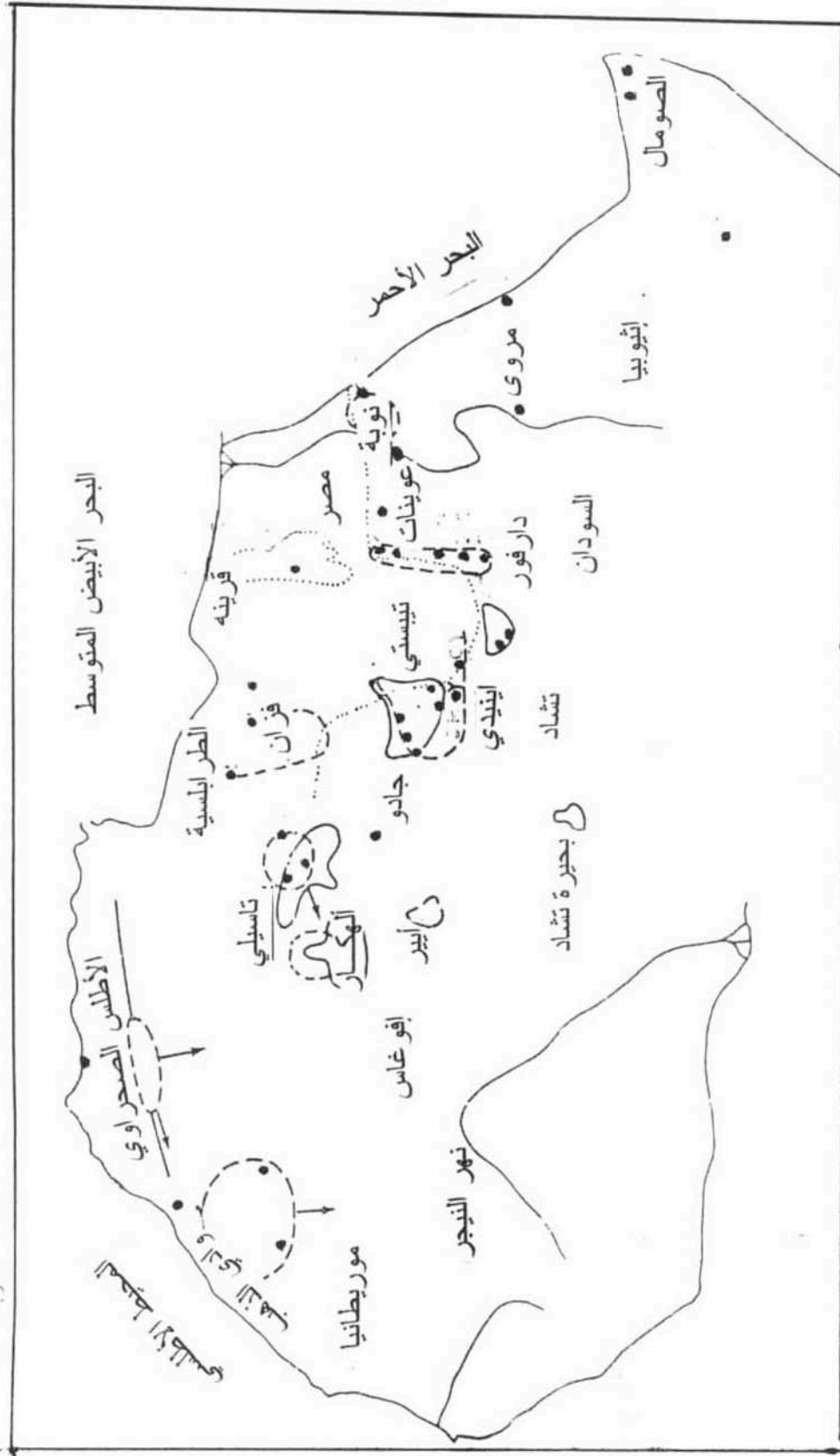
### الشكل الكروي

اختلفت الآراء، كذلك، حول الشكل الكروي (La sphé-roïde)، الذي يحمله الكبش على رأسه؛ فرأى كامبس (Camps G., 1991: 1423-1425) أن هذا الشكل كان يمثل خوذة، أو قلنسوة من الجلد. أما جرمان (Germain G., 1948: 97)، فيشير إلى أن الاختلافات في الأشكال المرسومة، أو المنقوشة، فوق رأس الكبش (وكذلك الثور) ترجع إلى اختلاف الأشخاص، الذين تعاملوا مع المادة، أي الفنانين، وأن الهدف في جوهره كان دائماً واحداً، هو إبراز الشكل الكروي، أو القرص، الذي كان لا يوضع إلا على رؤوس الحيوانات المقدسة، مثل الأكبش والثيران.

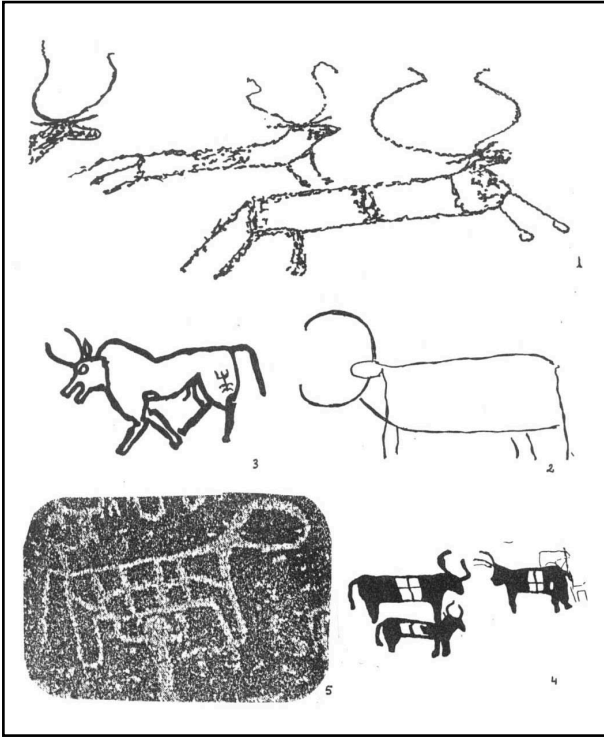
كما أقرت فئة أخرى من الباحثين، أن الشكل الكروي (La



الشكل ٢: رسوم ونقوش من الصحراء الكبرى تظهر الاهتمام بقرون الحيوانات: (1: كامبس ١٩٩١، 2-4: هنري لوت ١٩٨٤، 5: بازما ١٩٧٣، 6: كامبس ١٩٩١).



خريطة رقم 1 : مواقع انتشار الحيوانات "المتوجة"



الشكل ٤: رسوم ونقوش من الجزيرة العربية:

(1-2، خان ١٩٩٣)، (3-4: Anati 1974)، (5: لأنصاري ٢٠٠٢).

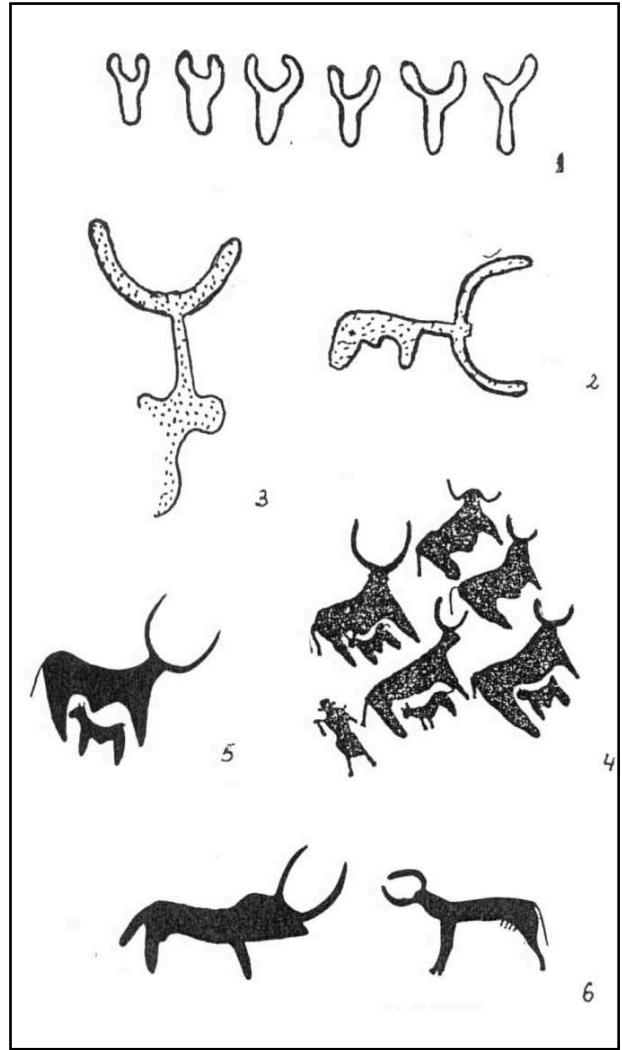
### الحيوانات الأخرى ذوات الهالة

هذا بالنسبة للكباش في منطقة المغرب القديم، ولكن ماذا عن الحيوانات الأخرى (الثور والوعل والكباش)، التي كانت تحمل الشكل الكروي نفسه (أو القرص) على رأسها، وتنتشر في جميع المناطق، التي سبقت الإشارة إليها؟ وماذا عن مكانة هذه الحيوانات عند إنسان العصور القديمة؟ ولم وضع هذا الشكل الكروي (أو القرص) على رأس هذه الحيوانات، بشكل خاص؟ وما المدلول أو الرمز الذي كان يتضمنه هذا الشكل؟

### الثور

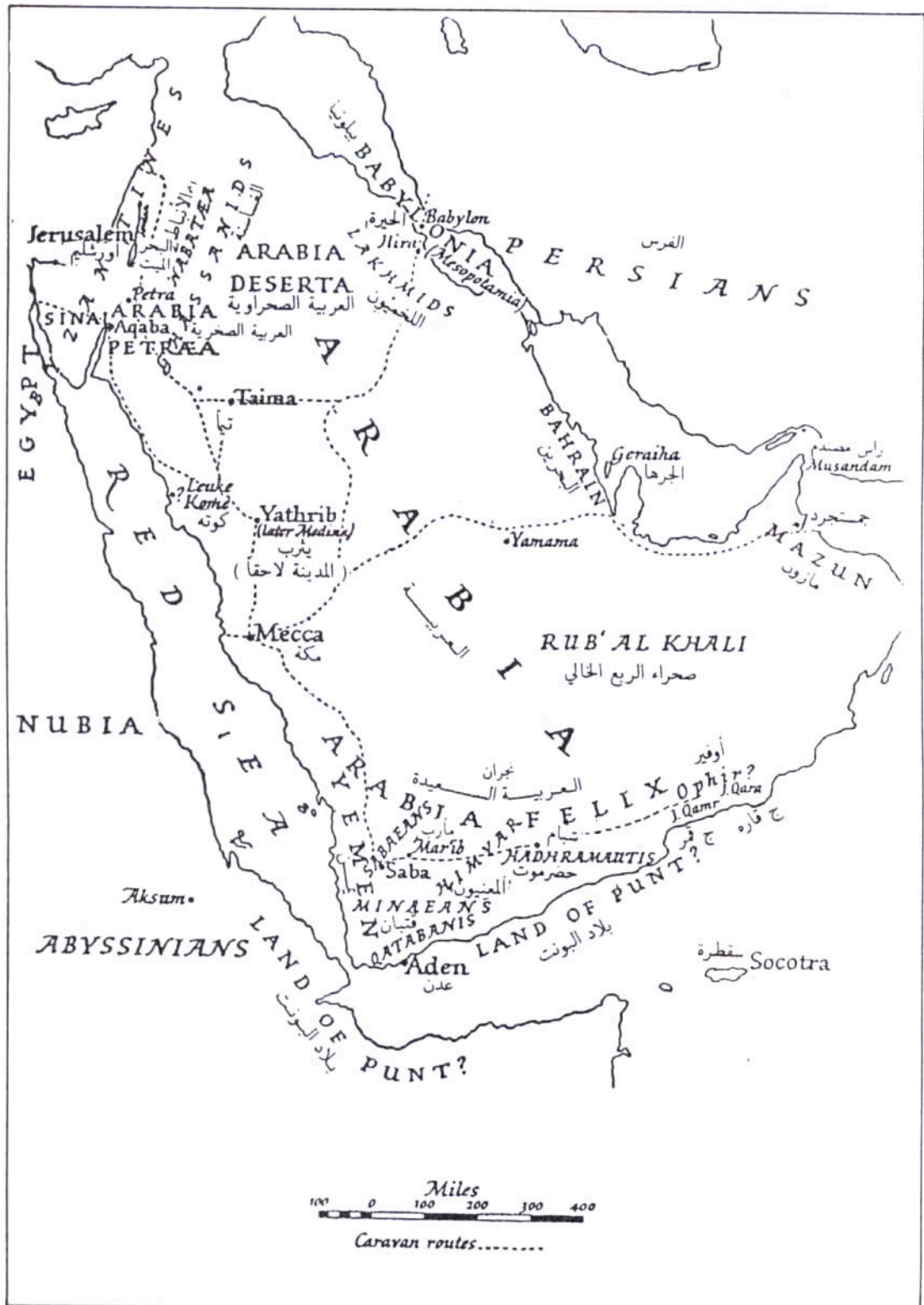
ترجع عبادة الثور في أصولها الأولى -كما هو معروف- إلى أقدم العصور. فقد وجد الثور ممثلاً بين أولى الإنتاجات الفنية، التي خطتها يد الإنسان في الكهوف الأوروبية (فرنسا وإسبانيا وإيطاليا) وترجع إلى ما بين ٣٢,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وبعد هذه الحقبة من التاريخ، عندما قضت التبدلات الجوية على الكثير من أنواع الحيوانات الوحشية (المفترسة)،

(sphéroïde) يمثل قرصاً، وأنه يرمز إلى أحد الكواكب. وهنا اختلفت الآراء وسادت الحيرة: هل يتعلق الأمر بكوكب الشمس؟ أم بكوكب القمر؟ فيقول ل. فروبينيوس (Frobenius L.) (1933: 202-204, fig. 26). "... إن الشكل الذي يوجد بين قرون الحيوان، هو دون شك، رمز كوكبي؛ ولكن هل هو رمز الشمس أم رمز القمر؟". وفي الموضوع نفسه يقول محمد مصطفى بازاما (بازاما ١٩٧٣: ٢٣٥) "...لقد عثر على رسوم ونقوش لبقرات وثيران في مناطق عدة في الصحراء الليبية، تحمل بين قرونها دائرة لعلها ترمز إلى قرص الشمس، وإن جهلنا نحن الكيفية، التي تم بها الربط بين الشمس وهذه الحيوانات..."

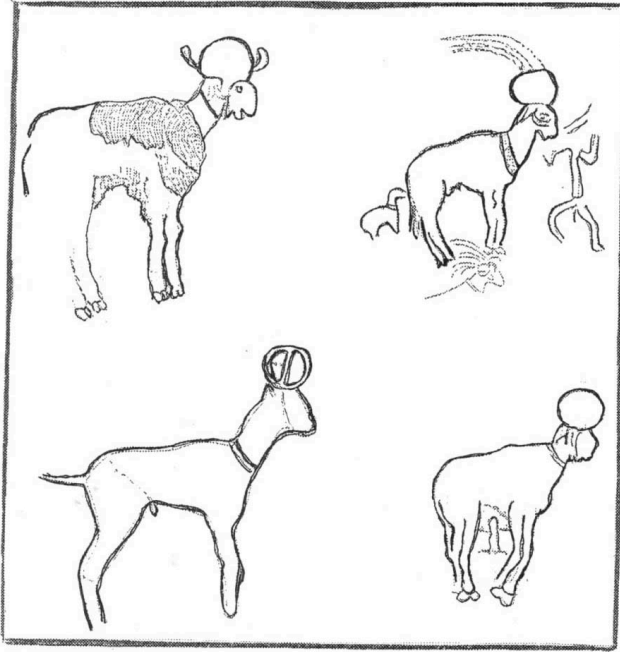


الشكل ٣: رسوم ونقوش من الحبشة: (1-4: [G. Baillaud 1954]).

(5-6: [R. Joussaume 1977]).



الخريطة ٢: شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام (عدنان تريسى ١٩٩٠).



الشكل ٥: أكباش "متوجة" من جنوب المغرب القديم (شمال إفريقيا)،  
(كامبس ١٩٩١).

كانت بدورها لها مدلولها الخاص، وترمز إلى القوة وقدرة التوالد (Le Quellec J., 1994:183) لذلك، نجد أن إنسان الأناضول ومنطقة الفرات (الالف العاشرة قبل الميلاد) كان يحرص على دفن القرون في مسكنه، أو يزين بها، بشكلها الطبيعي، رؤوس الثيران المصنوعة من الصلصال (الشكل ٦)، ليضعها فوق المصابط المستخدمة كمقاعد (رشيد الناضوري، ١٩٧٦: ١٦٤؛ Cauvin J. 1994: 46).

ويُستدل من الرسوم والنقوش الصخرية في الصحراء الكبرى، أن القرون في هذه المنطقة كانت، كذلك، مرتبطة بالتوالد والخصوبة، إذ وجدت ممثلة إما بمفردها، أو مع أشكال النساء المعروفة بـ «Les femmes ouvertes» (Le Quel- lec J., 1993:400-402)، (الشكل ٧).

وكانت القرون تأخذ أشكالاً مختلفة: منها ما يشبه القوس (Lyre)، ومنها ما هو نصف دائري، ومنها ما كان يأخذ شكلاً دائرياً<sup>(٧)</sup> بالتقاء القرنين (Le Quellec J., 1993:127, 138, 184) (الشكل ٨). ويبدو أن هذه الأنواع من القرون كانت تعد رموزاً مقدسة، ولا تحملها إلا الحيوانات، التي لها علاقة بالقوة والتكاثر والخصوبة، مثل: الثور والوعل

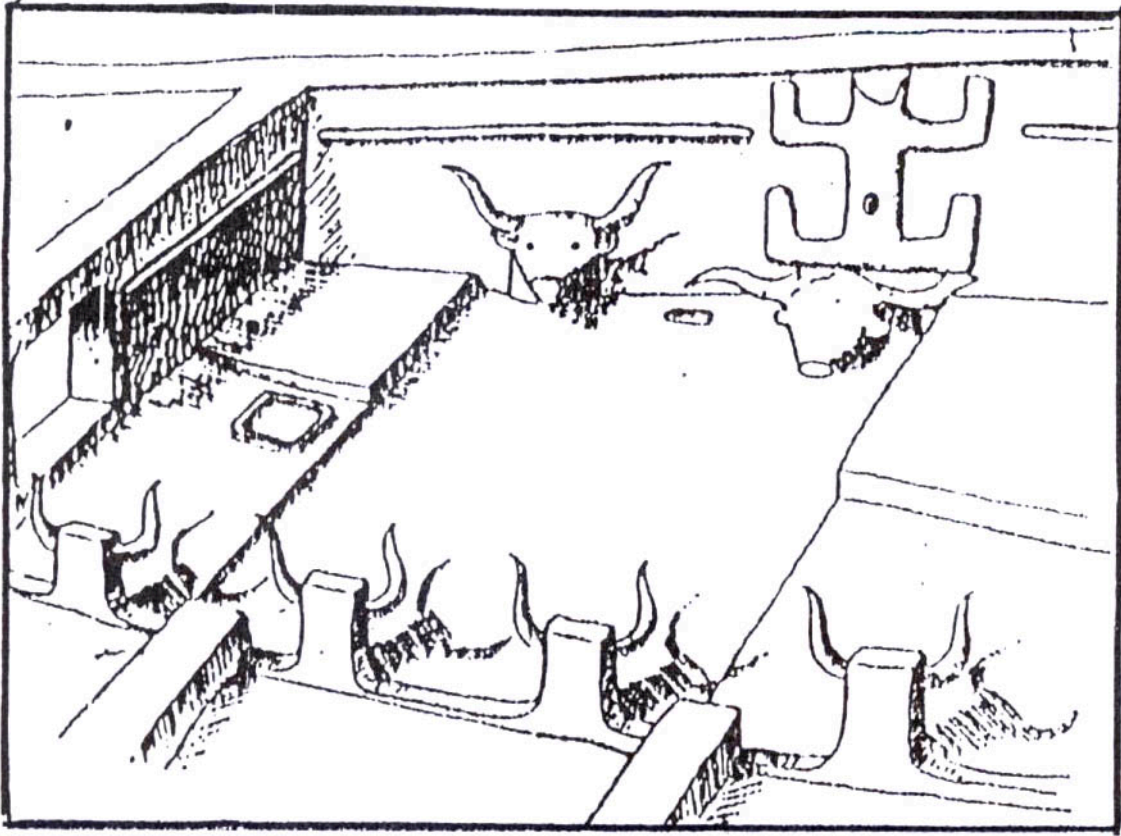
ظل الثور ملازماً للإنسان خلال انتقاله من مرحلة الترحال والصيد، إلى مرحلة التدجين والزراعة. فقد استؤنس الثور (Choffray T. 1984:1664)، وجعلته قواه الإخصابية، أي القدرة على التكاثر والتوالد، نموذجاً للعنصر المذكّر في الطبيعة. وأصبح على مر الزمان الإله - الأب، الذي يقابل الإلهة - الأم، التي كانت تجسد مبدأ الإنتاج والخصوبة (Choffray T. 1984:1665)، فوجدت بعض الرسوم في المعابد الأناضولية (شاطال هويوك - الألف العاشرة قبل الميلاد)، التي تمثل الإلهة - الأم وهي تلد رأس ثور، أو رأس كبش. ومنذ ذلك الزمان كان لهذين الإلهين، (الإلهة - الأم، والإله - الثور) الهيمنة المطلقة على الفكر الديني في الشرق، أي - في بلاد الرافدين، وأراضي الشام<sup>(٨)</sup>، ووادي النيل، وجزيرة كريت، والهند (46) (Cauvin J. 1994: 46) وانتشرت عبادتهما أثناء العصر الحجري الحديث<sup>(٩)</sup> وعصر البرونز، إلى أن سيطرت سيطرة تامة على الفكر الديني في حوض البحر الأبيض المتوسط (Choffray T. 1984:1665).

إضافة إلى ذلك، كان الثور مرتبطاً بعالم الكواكب وله علاقة بالقمر، الذي كان بدورته الشهرية يمثل "إيقاع الحياة"، أي كان يرمز إلى الولادة المتجددة والخصوبة والنمو، من ناحية، وإلى التناقص<sup>(٩)</sup>، أي الموت بشكله المؤقت من ناحية أخرى (Le Quellec J., 1993:194) ويشير ديتلف نيلسن (1958: ٢٠٧) إلى أن أحد أسباب اختيار الثور كرمز لإله القمر، هو أن قرنيه يذكران بالهلال.

وتشير الدراسات إلى أن القدرات، التي يتمتع بها الثور، مثل: الفحولة، وقوة التكاثر، والخصوبة، واقتترانه بإله القمر، كانت تنطبق كذلك على الوعل (أبو العيون بركات ١٩٨٧)، وعلى الكبش (أحمد أمين سليم ١٩٨٨: ١١١؛ Cauvin J., 1994:146)، وأن بعض الاختلافات، التي توجد في تمثيل هذه الحيوانات، ترجع أصلاً إلى الاختلاف في الزمان والمكان (Le Quellec J., 1994: 193).

### أشكال القرون ودلالاتها

إضافة إلى أن هذه الحيوانات (الثور والوعل والكبش)، كانت تجسد العنصر المذكّر في الطبيعة، وترمز إلى إله القمر، الإله الأب، فإنه يبدو أن قرونها<sup>(٩)</sup>، التي شُبهت بهلال القمر،



الشكل ٦: رؤوس الثيران فوق المصاطب - موقع شطال هويرك، (P. Levêque 1997).

والكبش (Tschudi Y. 1956: 39-44).

ويتبين من كل ذلك، أن هذه الحيوانات وقرونها كان لها ارتباط وثيق بالفكر الديني، خلال العصور القديمة. أما انتشارها على الرسوم والنقوش الصخرية في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى وجنوب الجزيرة العربية (Anati E., 1974)، فيقودنا تلقائياً إلى المقارنة فيما بينها، من ناحية، وبلاد الرافدين، من ناحية أخرى، حيث توجد أرض خصبة للمقارنة مع الحيوانات الممثلة على النقوش والنذور واللوحات التذكارية والأواني الفخارية. ويتبين من خلال دراسة هذه الأشكال الآتي :

### الثالث الكوكبي:

أولاً: إن إنسان هذه المنطقة ارتفع إبان تطوره نحو مزيد من التجريد لآلهته، وجعل لكل منها رمزاً يتمثل في نجم أو كوكب. ونسب لها صفات خاصة، جسدها في رموز دينية أصبحت

بمرور الزمن شارات، أو علامات مميزة، استعملها تجنباً لذكر اسم الإله، الذي كان مشحوناً بقوة المقدس. أي كان الرمز أو الشارة، بحد ذاتها، تعادل كلمة: "إله". وهكذا، أشار أهل الرافدين، بواسطة الهلال والقرص والنجمة، إلى "إله القمر"، و"إله الشمس"، و"إله الزهرة" (الشكل ٩). ويشير ج. كونتينو (Contenau G., 1950: 249-320) إلى أن هناك تطابقاً تاماً بين الهلال والقرص والنجمة مع كوكب القمر والشمس والزهرة، من ناحية، ومع إله القمر وإله الشمس وإله الزهرة من ناحية أخرى، أي لا يوجد فرق بين الإله والكوكب والرمز.

ومما يؤكد ذلك التطابق، ما جاء في اللوح الخامس من أسطورة الخلق البابلية: "... إن النجوم هي صورة الآلهة... وهي رموزها" (القمني ١٩٩٣: ٥٥). هذا إضافة إلى أن الآلهة كانت لا تصور في هيئة آدمية، إلا في حالات نادرة، إذ كانت الرموز، أو الشارات الخاصة بها، توضع بجانبها (Contenau



. (1950: 249-250)

وهكذا وضع أهل المنطقة في مقدمة آلهتهم، القمر والشمس والزهرة، وهي التي يطلق عليها: "الثالوث الكوكبي المقدس". فقد كان إله "سين" هو الأب، وإله الشمس "شماش"، وإله الزهرة "عشتار" هما ولداه، أي البنت والولد. واختلف وضع هذين الإلهين من مجتمع إلى آخر؛ فتارة كانت الشمس ذكراً، وتارة زوجة أنثى، وتارة كان كوكب الزهرة أنثى، وتارة ابناً ذكراً، وقد اختلف ذلك تبعاً لاختلاف المجتمعات، وطبيعة البيئة، وعلاقتها بالشمس والزهرة. ويبدو من ذلك أن الفكر الديني في المنطقة، كان يتميز بمجموعات إلهية ثلاثية، تتكون -في الغالب- من الأب والأم والابن (الناضوري ١٩٧٦: ١١٣).

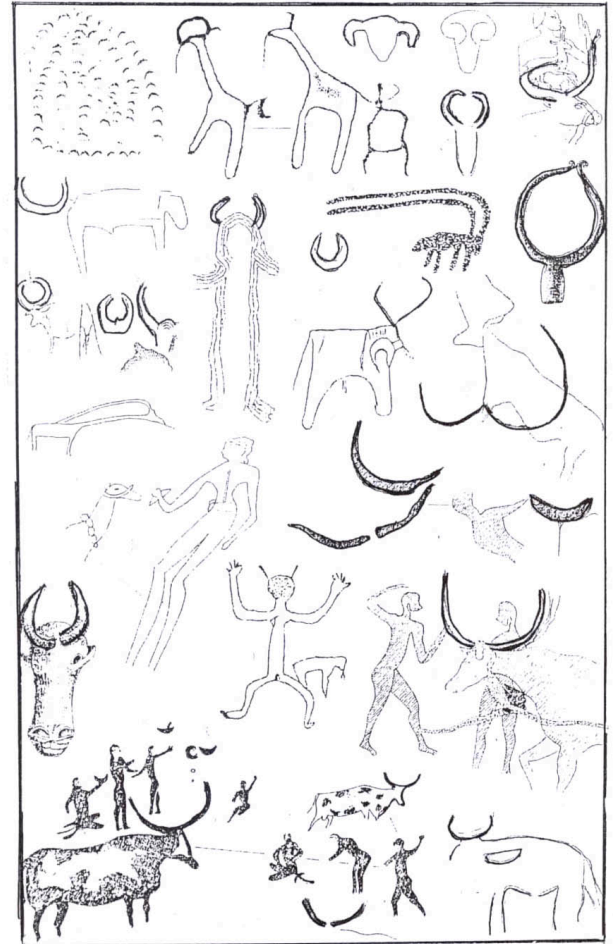
وتشير الأدلة الأثرية إلى أن رموز الثالوث الكوكبي،



الشكل ٨: قرون دائرية الشكل من الصحراء الكبرى،  
(J. Le Quellec 1993)

كمجموعة ثلاثية واحدة، ترجع في أصولها الأولى إلى بلاد الرافدين، حيث ظهرت منذ الألف الثالثة قبل الميلاد على آثار سلالة أور (Ur)، ومن هناك انطلقت إلى مختلف الجهات مع الشعوب المهاجرة، خاصة الأفواج السامية منها (Belgbeder 1968: 58).

ثانياً: اشتهر إله القمر بأسماء عديدة، ولكن كان الاسم "سين"، الذي يكتب (Si-in)، أو (Si-en-nu) ويعني "الثلاثين"، أي أنه كان إله الثلاثين يوماً، أو إله الشهر، هو الاسم الأكثر انتشاراً (Contenau 1950) وهناك تفسير آخر يقول فيه محمود القمني: "إن الاسم 'سين' يتركب من 'س' و'ن'، والنون الأخيرة كانت أداة التعريف في لغة عرب الجنوب، وكانت تلحق بآخر الاسم المراد تعريفه. أما 'س'، فكانت بشكل عام تطلق على الشياطة (الخراف والماعز والبقر والثيران...)، وعليه فإن اسم 'سين' كعلم دال على إله القمر، إنما يعني الإله الثور. وهو



الشكل ٧: رسوم ونقوش من الصحراء الكبرى،

النصف الثاني من الألف الخامس قبل الميلاد (سليم ١٩٩٨ : ١٠٦-١١١).

أما إله الشمس "شماش"، فكان يأتي في المرتبة الثانية بعد إله القمر، وقد رُمزُ إليه بالرقم عشرين (٢٠)، وبالقرص، وبعجلة (دولاب) بأربعة مفارق، تتوج بينها الأشعة الخاصة بالشمس (Contenau 1950: 256).

وفي المرتبة الثالثة كان يأتي كوكب الزهرة، "عشتار"، ابنة الإله "سين"، التي تميزت بمكانة خاصة بين الآلهة الكبرى. ويبدو أن عبادتها نشأت ونمت في مدينة الوركاء السومرية، قبل الألف الرابعة قبل الميلاد، حيث عرفت باسم "إننا"، "إنانا" (Ininna - Ininni) بمعنى "سيدة السماء". ويدخول الساميين إلى الرافدين، وتأسيس الدولة الأكادية، تحوّل اسمها من "إنانا" إلى "عشتار"، بمعنى "نجمة" (فاضل عبد الواحد علي، ١٩٩٣ : ٤٥-٤٢) لذلك، رُمزُ إليها بنجمة بثمانية أشعة، أو ستة عشر شعاعاً داخل الدائرة، التي -في الغالب- صورت إلى جانب هلال القمر وقرص الشمس (Bonnet 1996: 108-99).

وهكذا، يتضح أن أهل بلاد الرافدين كانوا يرمزون إلى إله القمر بالهلال، وإلى إله الشمس بالقرص، وأنهم -في أغلب الأحيان- صوروهما معا على الشكل التالي، أي أنهم كانوا يستعملون الشارات والرموز من أجل الإشارة إلى آلهتهم، وذلك لتفادي قوة المقدس، التي يتضمنها الاسم الإلهي.

وفي الغالب كان يُتوصل إلى تمثيل هذا الرمز<sup>(٩)</sup>، أو المجموعة من الرموز، بوضع قرص الشمس بين قرون الحيوانات الهلالية الشكل. وفي حالة غياب القرص، كان يعوض بدائرة، أو بالتقاء القرنين على شكل دائري (الأشكال: ٢، ٤، ٥، ٨). ولا شك، أن التقاء القرنين حالة غير طبيعية من الناحية العلمية، ولكن يبدو أن الهدف كان أقوى من ذلك، وأن الهدف كان التوصل إلى تصوير قرص الشمس داخل القرون.

ويلاحظ على الرغم من تصوير رأس الحيوان جانبياً (en profile)، فإن الشكل الدائري، أو القرص، كان مقابلاً للناظر (en face)، أي أن الاهتمام كان منكباً بالدرجة الأولى على القرص والقرون، وليس على الحيوان ذاته؛ لذلك يجب التمييز بين الثيران والأكباش، التي تحمل على رأسها الرمز المقدس، والحيوانات الأخرى المخصصة

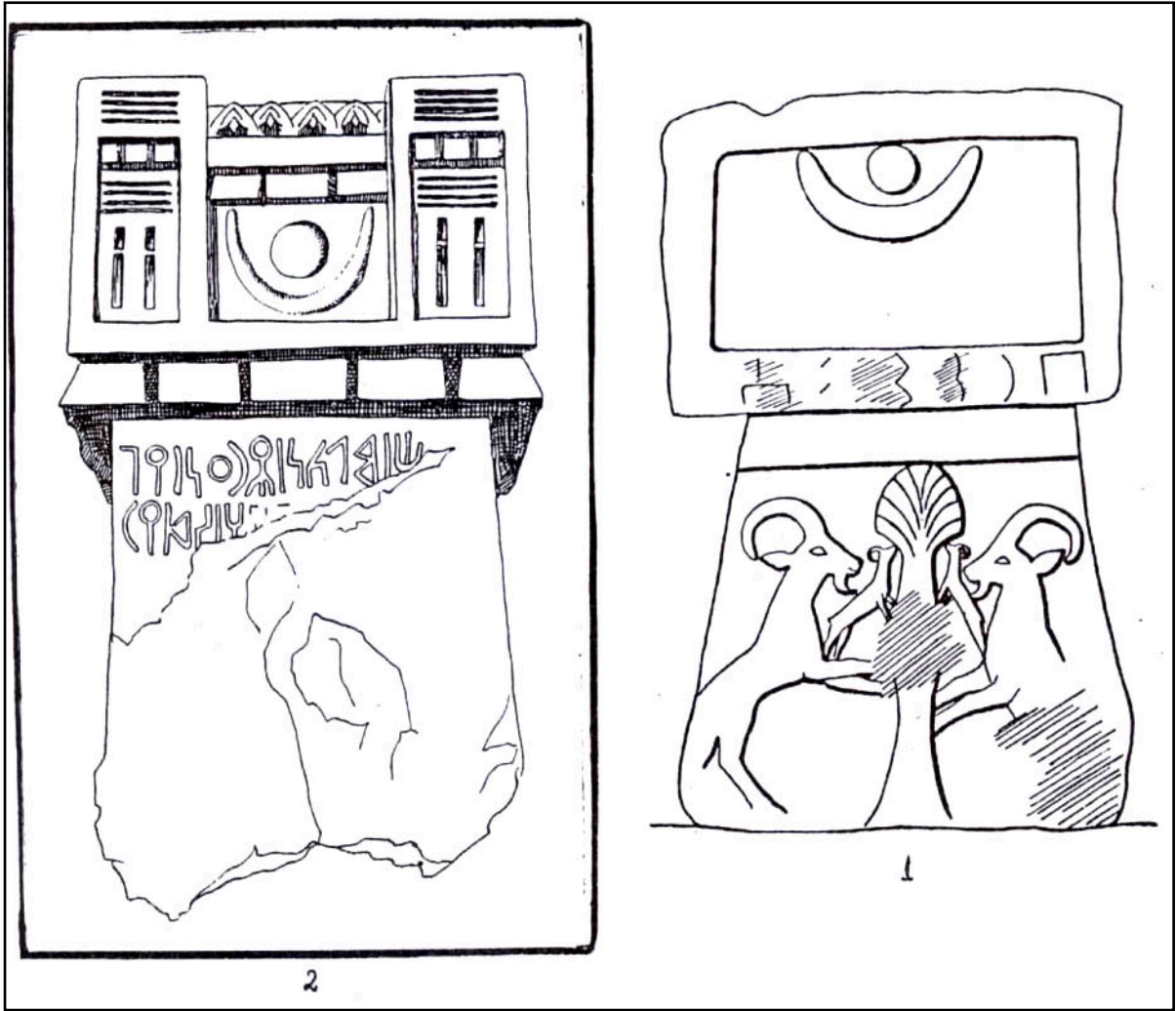


الشكل ٩: رموز آلهة القمر والشمس والزهرة في بلاد الرافدين،

ما يلتقي تماما مع ألقاب القمر المنتشرة في الجنوب اليمني، وهو اللقب (الثور). (القمني ١٩٩٣ : ١١٥). مع الإشارة إلى أن اسم "ثور" وجد، كذلك، ضمن أحد أسماء ملوك السلالة الثالثة في أور (Ur) (Langdon 1947: 389).

كما عُرف إله القمر، أيضاً، كذلك باسم: "ثور بعلم" (Thwr B'lm)، بمعنى "سيد الثور" و"سيد العنز". أي أن الصفات، التي كان يتميز بها الثور، مثل تجسيده العنصر المذكر وقوة التوالد، وارتباطه بالأمطار، كانت تنطبق، أيضاً، على الماعز والأكباش (جواد علي ١٩٩٣ : ج ٦، ١٧٤). ومن ناحية أخرى، كانت تنطبق، كذلك، على إله القمر، الذي كان هو الأب والضلع الأساسي في الثالوث الكوكبي المقدس، فقد رُمزُ إليه بثور يافع (جذع)، ذي قرنين ضخمين يشبهان هلال القمر (عبد الكريم ١٩٨٨ : ١١٠). وفي غالب الأحيان صور في داخله قرص الشمس (Chevalier 1982: 927-934).

إضافة إلى ذلك، يوجد الكثير من الأدلة، التي تشير إلى أن تأليه الثور في بلاد الرافدين عُرف منذ أقدم العصور. فقد وجدت رموز الثيران مرسومة على لوحات حجرية، تعود إلى الألف التاسع قبل الوقت الحاضر<sup>(١٠)</sup> (Dufour 1996: 19). وكذلك، نقش رأسه وقرونه أو أظلافه على المصنوعات الحجرية، وعلى عدد من التحف المنتمية إلى عصر حلف،



الشكل ١٠: رموز إله القمر وإله الشمس في : 1- جنوبي الجزيرة العربية (العريفي ٢٠٠٢)؛ 2- الحبشة (J. Doresse 1954).

للأضحية.

ويلاحظ في وقت لاحق، أن الرمز نفسه أو المجموعة من الرموز، مثلت، كذلك، على شواهد تذكارية وجنائزية ونذرية، في جنوبي الجزيرة العربية والحبشة (الشكل ١٠).

### الخلاصة

وبعد هذا العرض الملخص لأهم خصائص رموز آلهة الثالوث الكوكبي المقدس، التي كانت من ركائز الفكر الديني السامي، المنتشر في جميع الأراضي الممتدة بين بلاد الرافدين والهلال الخصيب والجزيرة العربية<sup>(١)</sup> والشاطئ الشرقي لإفريقيا، يبدو واضحاً أن هناك تشابهاً كبيراً بينها، وبين

الرسوم والنقوش الصخرية، المنتشرة على طول الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا. (الخطيب ٢٠٠٢: ١١-١٢) ما سمح، بعد الدراسة والمقارنة، باستخلاص بعض العناصر المشتركة التي نوجزها في الآتي:

أولاً - وجود عبادة الحيوانات، خاصة تلك التي كانت تعد العنصر المذكر في الطبيعة، وترمز إلى التكاثر، مثل: الثيران والأكباش.

ثانياً - الاهتمام الخاص، الذي حظيت به قرون هذه الحيوانات - المعبودات.

ثالثاً - الشكل الكروي، الذي كان يُوضع بين قرون الحيوانات -

إن هذا التشابه يطرح بدوره تساؤلات عديدة، منها مثلاً: هل تم التوصل إلى تأليه وعبادة هذه الحيوانات وهذه الكواكب، والإشارة إليها بالرموز نفسها والطريقة نفسها، محلياً، أي في كل منطقة على حدة نتيجة ظروف معيشية متشابهة؟ أم أنها تنقلت وانتشرت مع الأفواج البشرية خاصة السامية منها، التي كانت تتحرك وتهاجر طيلة العصور القديمة، خاصة العصر الحجري الحديث؟

وكيف ما كان الأمر، فيبدو أن وجود رموز الآلهة - الكواكب، على الرسوم والنقوش الصخرية، هو دليل مادي يشير إلى تواصل وتفاعل سكان الصحراء الكبرى ومنطقة جنوب المغرب القديم، مع العناصر السامية الآتية من الجزيرة العربية، منذ عصور ما قبل التاريخ. وهذا ليس مستبعداً إذا سلمنا بمقولة كامبس "علينا قبل كل شيء أن نتحرر من التصور الضيق المرتبط بمفهوم الحدود والدولة في العصور القديمة..." (Camps G., 1987: 109) أي إن المنطقة كانت خلال هذه العصور مفتوحة للتواصل والتفاعل والتأثر والتأثير... فعندما نقول "اتصال"، لا يعني هذا أنه كان يتم من طريق معبد، يمتد من أقصى شرق إفريقيا إلى أقصى غربها، بل كان يتم بالانتقال من منطقة إلى أخرى، ومن جماعة إلى أخرى، بواسطة الهجرات والتنقلات والمبادلات التجارية، خلال قرون عديدة من الزمان...

المعبودات. فقد كان في منطقة المغرب القديم يصور، في بعض الأحيان، مغروسا بخطوط مستقيمة، أو متموجة (الشكل ٣)، متناسقة في الغالب، ويتراوح عددها ما بين ثلاثة وتسعة خطوط (Camps 1991: 1418, fig. 2; p. 1422, fig. 1)، ما يوحي أن هذا الشكل الكروي كان كميثله في أراضي الهلال الخصيب، وبين الرافدين، وجنوبي الجزيرة العربية، وشرق إفريقيا، يجسد إله الشمس.

واستناداً إلى هذه المعطيات، يمكن الافتراض، بحذر شديد، أن "الأكباش والثيران ذوات الهالة"، في الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا، كانت مرتبطة بعبادة الحيوانات، التي تمثل العنصر المذكور في الطبيعة، من جهة، وترمز إلى الإله الأب، إله القمر، من جهة أخرى. وأن تصوير الشكل الكروي بين قرونها، كان من أجل تمثيل الهلال والقرص، رموز إله القمر وإله الشمس معاً، أي أن هذه الحيوانات كانت تحمل على رؤوسها رموز إلهين كبيرين. ونظراً لذلك نرى من الأفضل أن تُسمى بـ"الحيوانات المتوجة".

ويبدو من هذه المقارنة، أن عبادة الكواكب - القمر والشمس - كانت معروفة في الصحراء الكبرى والمغرب القديم، منذ عصور ما قبل التاريخ (Frobenius L. 1933:104-124)، وأنها تتشابه، إلى حد بعيد، مع نظيراتها في الهلال الخصيب، وبلاد الرافدين، وجنوبي الجزيرة العربية، والشاطئ الشرقي لإفريقيا؛ لا في أنواع الحيوانات المعبودة فقط (الأكباش والثيران والماعز)، بل أيضاً في الرموز والطريقة، التي استعملت للإشارة إلى المعبودين: القمر والشمس.

أ.د. عضراء محمد علي الخطيب: معهد الدراسات الإفريقية - جامعة الملك محمد الخامس - ص.ب. ٨٩٦٨ - أكادال - الرباط - المغرب.

## الهوامش:

- (١) وجد "الكبش ذو الهالة" على الرسوم والنقوش الصخرية، المنتشرة في المناطق الجنوبية من المغرب والجزائر وتونس، التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وبشكل خاص العصر الحجري الحديث.
- (٢) إلى وقت قريب عدَّ "الكبش ذو الهالة" (Bélier à sphéroïde) حالة خاصة بمنطقة الأطلس الصحراوي انظر (Lhote 1964: 194) ولكن مع اكتشاف الأشكال المماثلة في موقع كارة أم المنصور (Garat Umm el-Mansour)، سقطت هذه النظرية المبنية على الفراغات الموجودة على خارطة الصحراء الكبرى الأثرية (Le Quellec 1993, 154).
- (٣) في قصر مدينة ماري توجد مجموعة من الرسوم الجدارية، تصور مشهد موكب ديني يسير فيه رجال وثور. وقد زينت جبهة الثور بهلال كبير من الذهب، وغطى قرناه بغلاف من المعدن نفسه (هشام صفدي ١٩٨٤: ٣٠٤).
- (٤) جزيرة العرب: توجد أشكال الثيران المتوحشة على أقدم الرسوم الصخرية في المنقطة (آدمز وآخرون ١٩٧٧: ٤٥؛ القحطاني، ١٩٩٧: ١٩٩).
- في البحرين، عثرت البعثة الدنماركية على آثار تعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وكان من جملة ما عُثر عليه تماثلان صغيران لثورين. (جواد علي، ١٩٩٣: ج ١: ٥٦٦)
- وفي أبو ظبي: عُثر في مقابر جزيرة "أم النار" على رسوم تمثل مجموعة من الثيران (جواد علي ١٩٩٣: ج ١: ٥٦٦).
- (٥) تحدث المؤرخ المصري مانيتو (Manetho) عن ثورة قام بها الليبيون في مصر في أوائل الأسرة الثالثة، ضد الملك (نفر - كارع)، وأنه عندما زاد حجم القمر تشاءم الليبيون وألقوا أسلحتهم (الاثرم ١٩٩٤: ٥١). تجب الإشارة إلى أن الاعتقاد نفسه بـ "زودة" و"نقصه" القمر، كان موجوداً لدى الأقوام السامية. انظر (جان صدقة ١٩٨٩: ١٣٢، ١٣٦).
- (٦) وجدت كلمة (ق ر ن) في الكتابات البابلية (١٥٠٠ ق. م.)، ويبدو أنها سامية الأصل (Chaim Robin 1975: 88).
- (٧) يرى (Baumann) أن تصوير القرون على شكل دائرة، كان من خصائص الحضارة الحامية الشرقية (Baumann 194: 48-52, fig. 3-4).
- (٨) في تنقيبات أجريت في عام ١٩٩٦ على ضفاف نهر الفرات، في الموقع الأثري "الجرف الأحمر"، الذي يرجع إلى الألف العاشر ق. م.، اكتشفت العديد من اللوحات الحجرية الصغيرة، وعلى أربع وثلاثين منها كان منقوشاً الشكل التالي . وتقول سلفيني (Salvini)، الأستاذة المختصة في كتابات الشرق القديم في متحف اللوفر بباريس، إن هذا النحت كان يصور قرني حيوان وفي وسطهما نقطة. أما اللوحات ذاتها فهي لوحات نذرية (Dufour J. P., Il y a onze mille ans en Mésopotamie, l'écriture avant l'écriture. Le Monde, 8-9 décembre, Paris 1996, p. 19).
- (٩) هذا الرمز في بلاد الرافدين وجزيرة العرب يرمز إلى القمر والشمس؛ ولكن في مصر كان القرص والهلال يرمزان للقمر فقط، أي يشيران إلى الإله "تحوت". وكان "تحوت" إلهاً أيضاً للحكمة والمعرفة. أما الإلهة "حتحور"، فإذا تأملنا في صفاتها، التي ظهرت بها في العصور المبكرة في التاريخ المصري، نجد أنها كلها صفات ترتبط بمناطق أجنبية، خاصة بمنطقة البحر الأحمر (فاطمة عبد الغني سالم ٢٠٠٠: ٣٤٧ و ٣٥٤).
- (١٠) عُثر في العربية الجنوبية على كهوف قد صورت على جدرانها حيوانات، وصور الشمس والهلال، وذلك على طريق التجارة القديمة بين وادي "يبعث" ووادي "عرمة" (جواد علي ١٩٩٣: ج ١: ٥٣٢).

## المراجع

### أولا : المراجع العربية:

- الاثرم، رجب عبد الحميد ١٩٩٤، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، ليبيا.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وآخرون ٢٠٠٢، البدع، تاريخها وآثارها، دار الهلال للأؤفست، الرياض.
- آدمز، روبرت، وآخرون ١٩٧٧، "الاستكشافات الأثرية للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦"، مسح المنطقة الشمالية: أطلال حولية الآثار العربية السعودية، ص ٢٦-٤٥، الرياض.
- بازاما، محمد مصطفى ١٩٧٣، تاريخ ليبيا، الجزء الأول، في عصور ما قبل التاريخ، بنغازي، ليبيا.
- بركات، أبو العيون ١٩٨٦، "الوعل في الحضارة اليمنية القديمة"، اليمن الجديد، العدد الثاني عشر، السنة الخامسة عشرة.
- تريسي، عدنان ١٩٩٠، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى (اليمن)، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- خان، مجيد ١٩٩٣، الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية. الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض.
- الخطيب، عضراء علي ٢٠٠٢، الثالث الكوكبي المقدس: أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشرق إفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب، الرباط.
- سالم، فاطمة عبد الغني ٢٠٠٠، دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية واليمن القديم. ندوة "دراسات في آثار الوطن العربي"، الجزء الأول، ص ٣٢٩ - ٣٦٩، جمعية الاثريين العرب، القاهرة.
- سليم، أحمد أمين ١٩٩٨، تاريخ العراق وايران وآسيا الصغرى، الاسكندرية.
- سيرنج، فيليب ١٩٩٢، الرموز في الفن، الأديان، الحياة. ط ١. ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا.
- صدقة، جان ١٩٨٩، رموز وطقوس، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن.
- الصفدي، هشام ١٩٨٤، "دراسات مقارنة لأختام الخليج العربي : الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين". في "الجزيرة العربية قبل الإسلام" إشراف عبد الرحمن الأنصاري. الرياض ص. ٢٩٥-٣١٠ .
- عبد الكريم، عبد منذر ١٩٨٨، "دراسات في الميثولوجيا العربية: الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ص: ١٠٣-١٣٦، جامعة الكويت.
- علي، فاضل عبد الواحد ١٩٩٢، عشائر ومأساة تموز، بغداد.
- علي، جواد ١٩٩٣، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (أجزاء ١ - ١٠)، (الطبعة الثانية)، بيروت، لبنان.
- العريقي، منير عبد الجليل ٢٠٠٢، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- العمير، عبد الله بن إبراهيم، وسليمان بن عبد الرحمن الذيب ١٤١٨ هـ، "الرسوم والنقوش الصخرية بالجواء في منطقة القصيم"، الدارة، السنة ٢٣، العدد ٢، ص. ١٠٧ - ٢١١، الرياض.
- القحطاني، محمد سعد حسن ١٩٩٧، آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي. رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة صنعاء.
- القمني، سيد محمود ١٩٩٣، الأسطورة والتراث، سنا للنشر، القاهرة، مصر.
- المعمري، عبد الرزاق أحمد راشد ١٩٩٥، "العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية"، مجلة الثقافة، العدد ٢٠: ٩٨-١١٢ .
- الناصر، رشيد ١٩٧٦، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، لبنان.
- نيلسن، ديتلف ١٩٥٨، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين، القاهرة.

ثانياً: المراجع غير العربية:

- Anati, E. 1974. **Rock Art in Central Arabia**, Institut Orientaliste, Louvain-La Neuve, part III-IV.
- Baillaud, G. 1954. "La préhistoire de l'Ethiopie", **Cahiers de l'Afrique et l'Asie**, n° V: 1543.
- Baillaud, G. 1997. **Art rupestre en Ennedi**, Paris.
- Baumann, A. 1949. **Les peuples et les civilisations de l'Afrique**, Paris, Payot.
- Belgbeder, O. 1968. **La symbolique, Que sais-je?** Presses Universitaires de France, Paris
- Bonnet, C. 1996. **Astarté**, Dossier documentaire et perspectives historiques, Roma.
- Camps, G. 1991. Le Bélier à sphéroïde (Gravures rupestres de l'Afrique du Nord). **Encyclopédie Berbère**. t. IX: 1417-1433.
- Camps, G. 1987. **Les Berbères, mémoires et identité**, Editions Errance, Paris.
- Cauvin, J. 1994. **Naissance des divinités**, naissance de l'agriculture, Paris.
- Chaim, R. 1975. Lexicostatistics and the internal divisions of semitic, **dans : Hamitosemitica**, p. 85-99.
- Chevalier, J. Gheerbrant A. 1982. **Taureau, Dict. des symboles**, p. 927-934, Paris.
- Choffray, T. 1984. **Culte du Taureau. Dictionnaire des religions**, (dir. P. Poupard) p. 1663-1665, Paris.
- Contenau, G. 1950. **La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie**, Paris.
- Decret, F. Fantar M. 1981. **L'Afrique du Nord dans l'antiquité**, Histoire et civilisation. Paris.
- Delporte, H. 1990. **L'image des animaux dans l'art préhistorique**, Picard Editeur, Paris.
- Doresse, J. 1957. **Empire du prêtre - Jean**, t. I, II. Paris.
- Dufour, J. P. 1996. "Il y a onze mille ans en Mésopotamie. L'écriture avant l'écriture. dans", **le Monde**, 8-9 Décembre, Paris.
- Frobenius, L. 1933. **La civilisation africaine**, Paris.
- Germain, G. 1948. **Le culte du Bélier en Afrique du Nord**, Hespéris, 1-2, p. 93-124.
- Huard, P. 1952-1953. **Recherches rupestres au Tchad, dans Tropiques**, fasc. II, p. 1-12.
- Huard, P. 1961. "Les figurations d'animaux à disques", **IFAN** (Inst. Français d'Afrique Noire, Dakar), 34: 476-517.
- Joussaume, R. 1977. **L'art rupestre de l'Ethiopie, Recherches sur les grandes civilisations, Synthèse n° 6**. Mélanges offerts au doyen Lionel Balout. Paris. P. 159-175.
- Langdon, S. 1947. **La religion assyro-babylonnienne, Dans Histoire Générale des Religions** (dirigée par M. Gorce et R. Mortier), t. 1, Paris, p. 381-404.
- Le Quellec, (Jean Loïc) 1993. **Symbolisme et art rupestre au Sahara**, L'Harmattan. Paris.
- Levêque, P. 1997. **Introduction aux premières religions**, Librairie Générale Française.

Lhote, H. 1984. **Les gravures rupestres de l'Atlas saharien**, Alger.

Lhote, H. 1964. "Gravures rupestres de Tachoukent et de Tan Zega" (Sud Marocain), **L.A.P.E.**, XII, p. 225-245 (Libyca. Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie) Alger.

Muzzolini, A. 1983. L'art rupestre du Sahara cen-

tral : classification et chronologie, Thèse, Université de Provence.

Tschudi, Y. 1956. **Les peintures rupestres du Tassili-N-Ajjer**, Neuchatel.

Vernet, R. 1993. **Préhistoire de la Mauritanie**, Nouakchott